Kalimātunā: Journal of Arabic Research
P-ISSN: 2829-0852 E-ISSN: 2829-0097
Vol. 3 No. 1, 2024, 61-84
http://journal.uinjkt.ac.id/index.php/kalimatuna
06 I DOI:10.15408/kjar.v3i1.39610

آليات المنهج الاجتماعي في سورة يوسف
دراسة لغوية اجتماعية

Fatima-ezzahraa Elassali

Universitas Mohammed 5, Rabat, Morocco

عنوان البريد للتواصل: **fatimaezzahraeelassali@gmail.com**

Abstract:

The study aims to provide an applied study of the mechanisms of the social curriculum using the religious text "Surah Youssef/Yusuf" as a model, with guiding considerations respecting the specificity and sanctity of the Koranic text, to provide a clear understanding of the story of Joseph "Allah peace" in the Holy Koran and to highlight its social semantics. The research also aims to learn about the social classes in "Yusuf Hizbul Peace" society, as well as the many types of caste conflict and its impact on Egyptian society. The study's findings demonstrated the efficiency of using the social curriculum to highlight the unique characteristics of Egyptian society: their behaviors, values, and social phenomena, and providing logical analytical interpretations of the character's behavior in the story "Yusuf Alayhi al-Salam." Focusing on the linguistic part of the word revealed social connotations that highlighted the meaning and orientation of speech since it contains a variety of social values related to religion, culture, morals, and humans.

Keywords: *religious text, surah Yusuf, caste conflict, social connotations*

Abstrak:

Penelitian ini bertujuan untuk mengkaji mekanisme sosial melalui pendekatan sosial-bahasa dengan menggunakan teks agama, yaitu Surah Yusuf sebagai contoh, dengan tetap menjaga kekhususan dan kesucian teks Al-Qur'an. Kajian ini berfokus pada pemahaman mendalam mengenai kisah Nabi Yusuf, serta mengidentifikasi berbagai bentuk konflik kelas sosial dan dampaknya terhadap dinamika sosial Mesir saat itu. Hasil penelitian ini menunjukkan keefisiensian pendekatan sosial-bahasa dalam mengungkapkan karakteristik masyarakat Mesir, perilaku kolektif, nilai-nilai sosial, dan fenomena budaya. Selain itu, analisis terhadap pilihan bahasa dalam teks Al-Qur'an berhasil memperlihatkan konotasi sosial yang memperjelas makna serta arah komunikasi, karena teks tersebut mencakup nilai-nilai sosial yang erat kaitannya dengan agama, budaya, moral, dan hubungan antar-manusia.

Kata Kunci: *teks agama, surat Yusuf, konflik kelas sosial, konotasi sosial*

This is an open access article under CC.BY.SA license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أـ مقدمة

يعتبر المنهج الاجتماعي من أوائل المناهج الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين،[١] وقد شكل امتدادا لسوسيولوجيا الفن في نهاية القرن التاسع عشر وتبلورًا للأدب المقارن مع "مدام دو ستايل"، و"هيبوليت تين"، و"تبودي رينون". فالمنهج الاجتماعي يهدف إلى دراسة المنجز الأدبي في علاقته بالمجتمع، وليس في أدبيته الخالصة أو انغلاقه الاستيطيقي فحسب.

تتجلى ملامح المنهج الاجتماعي في توضيح العلاقة بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه، حيث يرتبط بالدعوات الإصلاحية التي كانت الاشتراكية فيها موضوعا خصبا. فقد دعا "هيغل" إلى وحدة الشكل والمضمون، واعتبر أن العالم في حالة تغير دائم وصراع مستمر[٢]، وهو المبدأ الأساسي لكل تطور. أما في روسيا، فقد نشأ أدب رفيع مارسه كبار الأدباء الموهوبين، وكان هدفه في الغالب التحريض ضد النظام القائم.

هذا الأدب يطلق عليه الأدب الاجتماعي، والأدب العالي، واللفظ العام، وغيرها من التسميات، إضافة إلى الحركة الواقعية في الأدب، التي نشأت خاصة في الكتابات الروائية مع "بلزاك"، و"زولا"، و"هيغو"...؛ فلم يعد يُنظر إلى الأدب باعتباره مجرد تعبير عن أوهام الذات المبدعة المتعالية على شرطها السوسيولوجي والاقتصادي، بل صار ينظر إليه كتفاعل جدلي مع محيطه الاجتماعي.

لقد ارتبط هذا النوع من السيسيولوجيا الأدبية بـ"روبيرت"، الذي يعد من أبرز وجوهها إلى جانب "برديو" و"لينهارت"، ويعتبر المؤسس الفعلي لما يمكن أن يطلق عليه سوسيولوجيا الأدب. عملت هذه السوسيولوجيا على تحويل الوعي من وعي تاريخي إلى وعي اجتماعي، يتصل بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع وبفكرة الطبقات، ويهتم بفكرة تمثيل الأدب للحياة على المستوى الجماعي بدلا من المستوى الفردي؛ بمعنى أن الأعمال الأدبية تعبير عن الواقع الخارجي حيث يتم ربط تفاعلات المجتمع، وأبنيته، وأنظمته، وتحولاته باعتباره المنتج الفعلي لهذه الأعمال النصية[٣].

---

[١] ربيع مفتاح، *زمن السرد العربي: قراءات في القصة والرواية* (الجيزة: وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٥).

[٢] حسام الدين فياض، "رؤية هربرت ماركيوز لمفهوم السلب عند هيجل"، *الرافد: مجلة إلكترونية ثقافية شاملة*، نشر في ١٢ يناير ٢٠٢٢، تم الاطلاع عليه يوم ١ يونيو ٢٠٢٤.

[٣] روبير إسكاربيت، *سوسيولوجيا الأدب*، ترجمة وتمهيد آمال أنطوان عرموني (بيروت: منشورات عويدات، ١٩٩٣)، ص. ٨.

KALIMÂTUNÂ, P-ISSN: 2829-0852, E-ISSN: 2829-0097

كما تعدّ سوسيولوجيا الأدب امتدادا للمناهج الأدبية ذات المرجعية المرتبطة بالأدب المقارن والتي تنطلق من فكرة أنّ العلاقة بين الأديب والواقع ليست علاقة أحادية بل هي علاقة جدلية. فالأديب يعكس ويصور الحياة الاجتماعية في بيئته، والأدب هو ثمرة إعادة بناء عناصر الواقع بلغة جديدة، هي لغة التعبير الأدبي. على اعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي لهذه الأعمال الإبداعية والفنية. وقد أكدت الناقدة الفرنسية "مدام دو ستايل" هذا الرأي بقولها "إننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا بمعزل عن المعرفة والظروف الاجتماعية التي أدت إلى الإبداع."[٤] وفقا لرأيها، يتغير الأدب بتغير المجتمع ويزداد تطورا مع تزايد الحريات الفردية والعامة التي يتمتع بها المجتمع.

وبالرجوع إلى سوسيولوجيا الأدب، يجب عدم إغفال تطورها من خلال المقاربات الماركسية للأعمال الإبداعية في الاتحاد السوفياتي السابق، مع "ميخانوف" و"حلقة براغ"، وكذلك مع الناقدين الفرنسيين "لوسيان غولدمان" و"جورج لوكاش"[٥]، اللذين عمقا هذا المفهوم الاجتماعي للأدب بما أضافاه إلى هذا المنهج، ووسعا بدورهما دائرته ومجالاته. واعتبر كل من "غولدمان" و"لوكاش" أن الأدب خاضع للقوى الاقتصادية والاجتماعية، وأن فهم ديناميات النشاط الاقتصادي يساعد في فهم تركيب المجتمع.

ومزج رائد المدرسة الجدلية "جورج لوكاش" بين النظرة التاريخية والاجتماعية للأدب كاشفا عن العلاقة الجدلية بين دلالات الأعمال الإبداعية ودلالات البنى الاجتماعي التي يعبر عنها المبدع[٦]. نظرا إلى أن الأعمال الأدبية باعتبارها انعكاسا لمنظومة ما، حيث يُفهم الانعكاس كتنظيم بنية ذهنية يتم التعبير عنها بالكلمات. من ناحية أخرى، يجدد "لوسيان غولدمان" النظرة الماركسية للأدب من خلال المزج بين البنيوية مؤكدا على أن الأعمال الأدبية التي تُكتب في حقبة زمنية تسعى إلى تكوين بنية ذات دلالة تشير إلى رؤية الكُتاب للعالم.

ويعتقد "غولدمان" أن الأعمال الأدبية لا تعبر عن الأفراد بشكل فردي، بل تعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة؛ بمعنى أنّ الأديب رغم كونه فردا، إلا أنه يحمل في طياته تجسيدا لوعي الجماعة. من هنا، صاغ "غولدمان" نظريته المعروفة بالبنيوية التكوينية التي بين

---

[٤]عثمان موافي، *مناهج النقد المعاصر*، (الازاريطة: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ط ١، ١٣.

[٥]روبير اسكاربيت، *سوسيولوجيا الأدب*، ترجمة آمال أنطوان عرموني، المرجع السابق، ص. ٨.

[٦]عبد القادر بختي وعادل اسعيدي، "مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية"، *مجلة آفاق علمية*، المجلد ١١، العدد ٤ (٢٠١٩)، ص. ٥٠٦.

فيها العلاقة بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي، فهي علاقة جوهرية تقوم على أساس التماثل الموجود بين النص الأدبي وعلاقته بالبنيات الذهنية لطبقة أو فئة اجتماعية[٧]؛بمعنى أن العمل الأدبي يتضمن تصوير الواقع الاجتماعي من خلال خضوعه لبنيات مشتركة ومعقدة تفرضها عليه مؤسسة الأدب وتوجهات المبدع الخاصة.

أما مؤسسي سوسيولوجيا الأدب مثل "بورديو"، و"لينهارت"، و"اسكاربيت"، فإن الأخير ركز على ثلاثة عناصر في دراسة النص تجريبيا، وهي الإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك. ويعني هذا أن "اسكاربيت" يتعامل مع الأدب من خلال رؤية سوسيولوجية اقتصادية مادية؛ فلا يهمه في بحثه التركيز على المحتويات أو المضامين أو العناية بالأشكال الفنية والجمالية، بل همه الوحيد هو استقراء وضعية الأدب في المجتمع من حيث الإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك[٨] اعتمادا على المعطيات الإحصائية والاقتصادية والتجريبية.

وفي هذا السياق، يقول" اسكاربيت" معلنا منهجه في دراسة الأدب "إن كل حدث أدبي يفترض وجود مؤلفين، وكتب، وقراء، أو بعبارة أعم، وجود مبدعين، وأعمال، وجمهور. ويشكل هذا الميدان تبادلا يربط بوسيلة معقدة جدا من الفن، والتكنولوجيا، والتجارة أفرادا محددين إلى جماعة مغفلة إلى حد ما، وإن كانت محدودة."[٩]

من هنا يمكن القول إن المقاربة السوسيولوجية لـ "اسكاربيت" للنص تعتبره من جهة واقعة اجتماعية، ومن جهة أخرى نتاج تفاعلات وصراعات بين مؤسسات اجتماعية مختلفة. ومن هذه الرؤية حرص "اسكاربيت" على تجاوز الرؤية الاجتماعية الضيقة السابقة، التي تقيم علاقة سببية مرآوية بين الأدب وسياقه الاجتماعي، نحو رؤية جدلية تفاعلية يتداخل فيها الأدبي والاجتماعي، والجمالي، والسوسيولوجي.

يتضح أن المنهج الاجتماعي ينطلق من اتجاهين رئيسيين: الاتجاه الأول هو الكمي، والاتجاه الثاني يرتبط بالمدرسة الجدلية، وينقسم إلى ثلاثة مراحل:

---

[٧] عبد القادر بختي وعادل اسعيدي، "مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية"، *مجلة آفاق علمية*، المرجع السابق، ص ٥٠٣.

[٨] روبير اسكاربيت، *سوسيولوجيا الأدب*، ترجمة آمال أنطوان عرموني، المرجع السابق، ص. ٢٢.

[٩] جريدة الجزيرة، "*نافذة الأدب والمجتمع*"، (الثلاثاء ١٧ رجب ١٤٢٠ العدد ٩٨٨٩).

KALIMÂTUNÂ, P-ISSN: 2829-0852, E-ISSN: 2829-0097

- **المرحلة الأولى:** بدأت مع كتاب "مدام دوستايل" في علاقته بالمؤسسات الصادر عام ١٨٠٠م، حيث كان الكتاب بمثابة منهجية أولى لمعالجة مفهوم الأدب وعلاقته بالمجتمع. بعد ذلك، جاءت محاولة "هيبوليت تين" التي استفاد منها "اسكاربيت".
- **المرحلة الثانية:** تتضمن التيار الجدلي المتأثر بالواقعية الاشتراكية، والذي كان يعتبر أنّ العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي تقوم على مبدأ الانعكاس، أي أن الإبداع هو انعكاس لما يوجد في المجتمع، ثم مبدأ الالتزام، أي أنّ الأدب يلتزم بالتعبير عن قضايا المجتمع، ومن أهم رواد هذا الاتجاه "جورج لوكاش".
- **المرحلة الثالثة:** هي مرحلة علم اجتماع الأدب، وتتفرع إلى اتجاهين:

أ- علم اجتماع الظواهر الأدبية: يهتم بدراسة ما يرتبط بتسويق وإنتاج الكتاب، ويعدّ "اسكاربيت" من رواد هذا الاتجاه.[١٠]

ب- علم اجتماع الإبداع الفني: يهتم بدراسة علاقة الإبداع بالمجتمع، ومن أبرز رواده "لوسيان غولدمان".

وتعتبر الفلسفة الماركسية أحد العوامل الرئيسية التي ساهمت في ظهور أبعاد هذا المنهج، من خلال ترسيخ فكرة انعكاس الأبنية التحتية (الاجتماعية والاقتصادية) على الأبنية الفوقية (الفكرية)، انطلاقا من أسبقية المادة على الفكر. ومن هذا المنطلق، نظرت الماركسية إلى نتاج فكري بما في ذلك الإنتاج الأدبي، باعتباره انعكاسا لأنماط الإنتاج المادية وللصراع الطبقي.

فالمنهج الاجتماعي يهتم بدراسة المنجز النصي في سياقه الأدبي الخالص أو في إطار انغلاقه الاستيطيقي، حيث تتجلى علامات هذا في بيان الصلة بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه. كما يركز على مدى تمثيل الأدب للحياة على المستوى الاجتماعي، وليس على المستوى الفردي، بمعنى أنّه كلما اعتبرنا الأعمال الأدبية تعبيرا عن الواقع الخارجي، كان ذلك مدخلا لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته، وأنظمته، وتحولاته.

وتعتبر سورة يوسف نموذجا مهما لتفسير الحياة الاجتماعية في عهد الأنبياء والرسل، من خلال استجلاء معالم الحياة الاجتماعية التي تعرضها أحداث هذه السورة القرآنية. وتوضح السورة كيف تتغير الظروف الاجتماعية بتغير النبي أو الرسول، والعكس صحيح، حيث أن الأنبياء والرسل مرسلون لهداية مجتمعاتهم إلى الطريق المستقيم.

---

[١٠] روبير اسكاربيت، *سوسيولوجيا الأدب*، ترجمة آمال أنطوان عرموني، المرجع السابق، ص. ٩.

ب- مشكلات البحث ومنهجه

- مشكلات البحث

أثار تطبيق المناهج الحديثة في دراسة النص القرآني مجموعة من الإشكالات المتعلقة بخصوصية هذا النص؛ كونه كلاما منزها ومنزلا من عند الله تعالى على رسوله الكريم. فهو يختلف عن باقي النصوص الأدبية بشكل خاص والبشرية بشكل عام. ومن هنا، تبرز تساؤلات حول كيفية الاستفادة من هذه المناهج في فهم آيات الله تعالى، وإبراز مضامينها الاجتماعية.

- المنهج

سيتم اتباع منهجية تشتمل على:

١- **نوع البحث:** هذا البحث من البحوث المكتبية التي تعتمد على جمع البيانات الكيفية (الكلمات، والجمل، والنصوص) من خلال دراسة الكتب، والمطبوعات، والمخطوطات، والمحفوظات للحصول على نتائج خاصة بالبحث عبر مجموعة من الإجراءات الإحصائية.

٢- **منهج البحث:** تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في وصف ظاهرة معينة وتشخيصها، والاهتمام بدراسة العلاقات التبادلية بين عناصرها للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها.[١١] في هذا البحث، تم وصف أحداث القصة في سورة يوسف وتحليل مكوناتها. كما تم استخدام المنهج الاجتماعي لدراسة الطبقات الاجتماعية، وتحليل الانتماءات الاجتماعية للشخصيات، والكشف عن الأبعاد الاجتماعية للقرارات الإدارية، والقانونية، والسياسية للشخصيات في المجتمع المصري.

٣- **طريقة جمع البيانات:** تم الاعتماد على المنهج النقدي الاجتماعي الذي يركز على دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية عبر مجموعة من الأدوات والإجراءات التي يتبعها الناقد أثناء قراءة النص وتحليله وتفسيره، فتتابين القراءات النقدية للنص الواحد

[١١] محمد صلاح الدين مصطفى وآخرون، *خطوات البحث العلمي ومناهجه*، (القاهرة: جامعة الدول العربية، ٢٠١٠)، تم الاطلاع عليه يوم ١ يونيو ٢٠٢٤، ص. ٣- ٤.

KALIMÂTUNÂ, P-ISSN: 2829-0852, E-ISSN: 2829-0097

وتتنوع بتنوع القراء، فلكل قارئ منهجيته وأدواته في التحليل[١٢]. ويستند إلى حقيقة وجود ارتباط بين الإطار النظري للبحث (الفكر النظري) وبين الواقع العملي (المجال التطبيقي)، مما يسمح بالمزج بين النظريات التي تفسر الظواهر مع التطبيق العملي لها؛ مما يجعله مناسبا لوصف البيانات البحثية وتحليلها من خلال توظيف المفاهيم النظرية وتحويلها إلى أدوات تحليلية لقصة يوسف عليه السلام.

٤- **مصادر البيانات البحثية:** تعتمد البيانات البحثية في هذا البحث على الكتاب المقدس "القرآن الكريم"، وبشكل خاص على "سورة يوسف".

ج- عرض النتائج والمناقشة

المطلب الأول: تعريف سورة يوسف وتوثيقها في القرآن الكريم، بيان سبب نزولها، وأحداثها

- **تعريف سورة يوسف:** سورة يوسف مكية، وعدد آياتها ١١١، وترتيبها في القرآن الكريم هو ١٢، وتقع بين سورتي هود والرعد، تناولت مواضيع العقيدة والقيم من خلال قصة يوسف عليه السلام وأبيه وإخوته.

سميت السورة بهذا الاسم لأنها سردت قصة نبي الله يوسف عليه السلام كاملة دون غيرها من سور القرآن الكريم. تُؤَسس سورة يوسف لعقيدة التوحيد، حيث أن أحداث القصة بما فيها من موضوعات، وأحداث، وشخصيات، وحبكة، وحوار، ومجتمع، وكل خصائصها الفنية تم تكييفها واستخدامها لتأكيد وترسيخ العقيدة الأساسية للدّين، وهي عقيدة التوحيد.

- **سبب نزولها:** توجد عدة روايات لسبب نزول قصة يوسف عليه السلام:

أ- **الرواية الأولى:** أنّ الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أنزل الله القرآن على رسول الله "صلى الله عليه وسلّم"، فتلى عليهم زمانا، فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى ﴿ألر. تلك آيات الكتاب المبين (١) إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون. (٢)﴾.[١٣]

---

[١٢] صدام حامدي، *أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي: كتاب أخطاء المنهج الغربي الوافد نموذجا* (رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٦)، ص. ١٣- ١٤.

[١٣] سورة يوسف، الآية ١، ٢.

ب- **الرواية الثانية:** روي أن بعض كفار مكة سألوا اليهود: لما انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن خبر يوسف عليه السلام؟ فأنزل الله سورة يوسف في مكة موافقة لما جاء في التوراة.

ج- **الرواية الثالثة:** تثبيت الرسول وتخفيف الشدة عنه: نزلت سورة يوسف في أواخر العهد المكي، أيام الشدة التي لاقاها الرسول عليه الصلاة والسلام من قومه بعد وفاة عمه أبي طالب، ووفاة زوجته خديجة رضي الله عنها (قبل الهجرة بنحو ٣سنوات) فضرب الله له ولأصحابه مثلا بصبر يعقوب ويوسف عليهما السلام، وأن بعد الصبر يأتي الفرج والنصر، فكما مَكَّنَ الله ليوسف، مكن الله لرسوله بعدما أخرجه قومه وحاربوه فقد رجع إلى مكة فاتحا بعد ثمان سنوات من إخراجه منها.

د- **الرواية الرابعة:** إثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبار الأنبياء والرسل والأمم السابقة التي وردت في القرآن الكريم من الأدلة على أنه من عند الله، فلم يكن للرسول مصدر لتلك الأخبار وهو الأميّ وابن بيئة أميّة. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)﴾.[١٤]

هـ- **الرواية الخامسة:** نزلت لأخذ العبرة، فمن أهم فوائد قصص القرآن أخذ العبر واستخلاص الدروس. قال تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾.[١٥]

- **أحداثها:**

كان لسيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام اثنا عشر ابنا، ومن هؤلاء الأبناء سيدنا يوسف وأخوه بنيامين، كان يوسف عليه السلام حسن الأخلاق وجميل الوجه والمظهر، وقد كان له عند أبيه مكانة ومحبة خاصة، مما جعل هذا سبب كراهية إخوته عليه وغيرتهم منه لتتوالى الأحداث في ارتباطها بهذه القصة.

- تناولت السورة قصة يوسف عليه السلام وابتدأت بالرؤيا التي قصها على أبيه وفسرها له بما سيكرمه الله به من النبوة وما نتج عن ذلك من كيد إخوته، وتآمرهم عليه للتخلص منه بالقتل أو غيره...

[١٤] سورة يوسف، الآية ١٠٢.

[١٥] سورة يوسف، الآية ٧.

- اتفق إخوة يوسف عليه السلام على إلقائه في بئر وأخبروا أباهم بأن الذئب أكله، فقابل ابتلاء فراقه بالصبر ...
- عثرت قافلة من المسافرين على يوسف وجعلوه عبدا وباعوه لعزيز مصر الذي أكرمه...
- وبعد ذلك ابتلي بمحنة أخرى مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسه انتهت بمحنة دخول السجن ...
- وكانت رؤيا الملك وتفسير يوسف لها طريقا للخروج من السجن والتمكين في الأرض بعد ظهور براءته...
- وبسبب الجفاف جاءه إخوته بحثا عن الطعام فقابل إساءتهم بالكرم والإحسان والعفو ...
- ثم جمع الله شمله بأبيه بعد البلاء والفراق والمحن، وتحققت الرؤيا التي رآها في منامه (سجود الكواكب ...).
- وختمت السورة بخطاب الله لنبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن قصة يوسف من أدلة نبوته التي لا يؤمن بها كثير من المشركين المعرضين عن آيات الله في الكون، وأن سنة الله أن ينصر رسله بعد الصبر على الابتلاء، وأن في قصصهم عبرة، وأن القرآن الكريم مصدق للكتب السماوية قبله وهو كتاب هداية ورحمة للمؤمنين.

KALIMÂTUNÂ, P-ISSN: 2829-0852, E-ISSN: 2829-0097

المطلب الثاني: آليات المنهج الاجتماعي في سورة يوسف

بما أننا سنحلل قصة سورة يوسف بآليات المنهج الاجتماعي؛ فإننا سنركز على دراسة مختلف تمظهرات النشاط الإنساني في المجتمع المصري آنذاك، فالبيئة هي "موئل الإنسان وعالمه الذي يتشكل فيه وبه. وتعني البيئة لدى "تين" كلا من المناخ الجغرافي والاجتماعي على السواء، ومن هنا فإنّها لا تسهم في تشكيل الذات المبدعة في تطورها ونموها فحسب، وإنّما تشارك أيضا في صياغة المادة أو العالم الذي يتخلق في العمل الأدبي ومن خلاله، فالإنسان حسب تين ابن بيئته خاضع لواقعها ومعطياتها، فهو ليس بمعزل عن عاداتها وتقاليدها ولا يمكنه أن يكون كذلك لأي سبب من الأسباب. فهو مرتبط بها، متصل بثوابها ومتغيراتها،[١٦]

[١٦] صبري حافظ، "الأدب والمجتمع: مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي"، *فصول* 1، عدد ٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١)، ص. ٦٥.

وعليه؛ سنحاول تحليل النص القرآني (سورة يوسف) في ارتباطه بالحياة الاجتماعية لنبي الله يوسف عليه السلام والتي تدور فيها قصته انطلاقا من الآليات الاجتماعية الآتية:

- **الصراع الطبقي:**

يرى "غولدمان" أن الأعمال النصية لا تعبر عن الأفراد وإنما تعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة[١٧]؛ ذلك أن المجتمع مقسم إلى طبقات لكل منها وعيها الخاص ومصالحها التي تدافع عنها، هذا الوعي يحدده الجانب المادي والسلطوي.

ويمكن استخراج هذا النموذج للصراع الطبقي من خلال أحداث قصة سورة يوسف، التي تدور بين كنعان ومصر إبان الحكم الهكسوسي، كما تصورها المصادر التاريخية والمنحوتات على القبور والوثائق الأثرية، وكذا المؤلفات التاريخية.

فقد كان المجتمع المصري في عهد الدولة القديمة منقسما إلى قسمين أساسيين: الطبقة الأرستقراطية والطبقة العامة من جهة الرعية والملك الإله الذي يمثل قمة الهرم النظامي وحلقة الوصل بين البشر والآلهة، حيث ينفذون رغبات الآلهة عن طريق حكم البلاد، وسنّ القوانين وتحقيق التوازن والعدل، وحماية البلاد من أي غزو خارجي عن طريق امتلاك جيش قوي، وتحقيق رفاهية الرعية. ويُبقون الآلهة سعيدة حتى لا يفيض النيل أو تجف المحاصيل.

بالإضافة إلى ذلك كان الفرعون مالك لجميع أراضي مصر، لكن هذه السلطة ستهتز بعد الثورة التي عمت البلاد قبيل استيلاء الرعاة الهكسوس على الحكم بعد استقرارهم على ضفاف نهر النيل بموافقة الفرعون الحاكم آنذاك. فلم يعرف خلال هذه الفترة ما بين القرنين ١٦ و١٩ قبل الميلاد ذكر الفرعون كطبقة حاكمة تمتلك السيادة الألوهية.

هذا الأمر أضفى إعجازا تاريخيا على سورة يوسف في القرآن الكريم، حيث إن لقب حاكم مصر في فترة الهكسوس كان "ملكا" وليس فرعونا.

ومن إعجاز القرآن الكريم أن ذكر حاكم مصر عند الحديث عن قصة نبي الله موسى وفرعون وليس ملكا كما تقول الآية الكريمة ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾،[١٨] إلا في سورة يوسف فقد ذكر حاكم مصر باسم "ملك" لقوله تعالى: ﴿وقال الملك

[17]Lucien Goldmann, *Le Dieu caché: Etude sur la vision tragique dans les "Pensées" de Pascal et dans le théâtre de Racine* (Paris: Gallimard, 1955).

[١٨] سورة القصص، الآية ٣.

KALIMÂTUNÂ, P-ISSN: 2829-0852, E-ISSN: 2829-0097

ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾.[١٩] وقال أيضا: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾.[٢٠]

وتصور سورة يوسف وضعا اجتماعيا يسوده البذخ والترف والمجون والانحلال الأخلاقي في الطبقة الأرستقراطية من الوزراء وحاشية الملك وتجار الرقيق. كما توضح السورة أيضا مكانة المرأة في المجتمع آنذاك، حيث إن امرأة الوزير (عزيز مصر) تتصرف وكأنها تمتلك جميع السلط التقريرية، حيث تسجن يوسف عليه السلام رغم إظهار براءته بحضور شاهد من أهلها معية زوجها العزيز.

كما تصور كذلك شخصية وزير لا يتصف بالغيرة والمروءة على زوجته، بل همه الوحيد هو سمعته أمام الناس، حيث طلب من زوجته المذنبة أن تستغفر الله ﴿واستغفري لذنبك﴾،[٢١] وطلب من يوسف الإعراض عن الأمر. لتكمل زوجة العزيز إصرارها وإعلانها لصاحباتها ذنبها محاولة تبريره حتى سقطن كلهن في مراودة يوسف عن نفسه.

بعد الملك يأتي الوزير، والذي يعد ثاني أقوى منصب بعد الملك، وفي بعض الأحيان كان يشغل منصب الكاهن الأعلى، ويتم تنصيبه من طرف الملك ويختاره من بين أفراد العائلة الملكية أو النبلاء أو كبار الكهنة.

وخلافا لما هو معهد في التقاليد الملكية المصرية القديمة التي كانت لا تسمح للأشخاص الأجانب بتقلد المناصب العليا والرفيعة في الدولة، ولا يمكن أن يصلوا لمرتبة الوزراء، وإنما اقتصرت مهامهم على الرعي وتربية الأغنام كونهم من سكان الرمال...لكن اهتدى الملك الهكسوسي إلى تعيين يوسف عليه السلام وزيرا رغم بعد انتمائه من طبقة النبلاء بالمفهوم الاجتماعي، إلا أنه صنفه من طبقة النبلاء بالمفهوم الأخلاقي والسلوكي والمعرفي لقوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده آتينه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾،[٢٢] بعد الوزير يأتي الكهنة والنبلاء ضمن الطبقة الأرستقراطية.

---

[١٩] سورة يوسف، الآية ٥٤.

[٢٠] سورة يوسف، الآية ٤٣.

[٢١] سورة يوسف، الآية ٢٩.

[٢٢] سورة يوسف، الآية ٢٢.

أما الطبقة العامة فقد احتوت الجنود والكتاب، الحرفيون والتجار، الفلاحون والرعاة ثم العبيد الذين كانوا ضحايا الحرب، يتم آسرهم وإجبارهم على العمل في بيوت النبلاء أو المعابد أو لدى الأسرة الحاكمة، بالإضافة إلى إجبارهم على العمل في البناء.

وقد كان من مظاهر السلطة والجاه وقتها تواجد العبيد لخدمة النبلاء، وكان يوسف واحدا منهم، حملته قافلة من الشرق، ليباع لعزيز مصر، وحرص على أن يرعاه رعايته لابنه لقوله عز وجل: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾.[٢٣]

ويظهر الصراع الطبقي كذلك في تفضيل أب يوسف له عن إخوته، وجعلهم في طبقات تعلوهم؛ طبقة يوسف عليه السلام ما جعلهم يحسدونه، ويتآمرون عليه لإهلاك أخوهم الأصغر، والتستر على فعلهم بسذاجة وكذب واضح.

- **الوضع السوسيولغوي:**

تولد تيار جديد في سوسيولوجيا الآدب أو المنهج الاجتماعي يطلق عليه علم الاجتماع النصي الذي يفيد من معطيات علمي النص السوسيولوجيا على وجه التحديد، لكي يجعل المقاربة الاجتماعية أكثر ارتباطا بالوسط الحقيقي الفعلي بين الآدب والحياة انطلاقا من وسيط فعلي بينهما هو اللغة؛ لأن اللغة هي مادة الآدب ومادة التواصل في الحياة.

فاللغة –إذن- من منظور علم اجتماع النص الأدبي هي المرشحة لأن تكون الجسر الحقيقي الذي يمكن التحليل النقدي فيه للتمكن من الربط بين الأدب من ناحية والحياة من ناحية أخرى.

ومن الملاحظ أن قصة سورة يوسف شديدة التجانس والقرب من خطاب الحياة العامة للمجتمع المصري، ويمكن تحليل العلاقة بين النص والمجتمع باستخراج الدلالات المعجمية اللغوية الذي تتخلل سورة يوسف، والتي تكون متعلقة بقوة بالأوضاع الاجتماعية السائدة آنذاك يقول الله تعالى: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين. قال لا

[٢٣] سورة يوسف، الآية ٢١.

KALIMÂTUNÂ, P-ISSN: 2829-0852, E-ISSN: 2829-0097

يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾.[٢٤]

في هذا الحوار اللغوي دلالات اجتماعية تصور الوضع الاجتماعي في المجتمع المصري المرتبط بممارسات اجتماعية ثقافية سائدة تخص الرؤيا والتبصر. فقد ذكر المعجم المرتبط بالرؤية خمس عشرة مرة في سورة يوسف بصيغ مختلفة: رأيت، رأيتهم، رؤياك، رأى، لنراها، رأينه، رأوا، أراني، نراك، رؤياي... لقوله عز وجل ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.[٢٥]

يُبَيِّنُ هذا الأمر عن سيادة "تأويل الرؤى والأحلام" في المجتمع المصري في ذلك العصر، وأنهم كانوا يعتمدون عليه في تدبير شؤونهم الحياتية، وكان تأويل الرؤى وتفسير الأحلام عندهم من صنع الكهان والشعوذة المنحرفة، أما تأويل يوسف عليه السلام فكان وحيا من عند الله تعالى لقوله ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾.[٢٦]

ويكشف هذا الحوار الذي دار بين الفتيين ويوسف عليه واستعمالهما لأداة التوكيد إنّ ﴿إنّ نراك من المحسنين﴾[٢٧] عن تأكيدهما لصفة الإحسان فيه ونفيهما للشك والإنكار، ما يدل على أن هذه الصفة معرضة للتشكيك في هذا المجتمع الذي يسوده الانحلال الأخلاقي والفساد الفكري والخلل العقدي. وما يؤكد هذا هو فعل امرأة العزيز ونسوة المدينة المتصف بالظلم، والمكر، والإنكار، والكذب، والخداع والضلال. لقوله جل جلاله ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾،[٢٨] ولقوله أيضا ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾[٢٩]، وقوله ﴿إنّا لنراها في ضلال مبين﴾.[٣٠]

ومن الأوضاع الاجتماعية السائدة في عصر يوسف عليه السلام هي غلبة الجماعة على الفرد وتفضيلها، لذلك رأى إخوة يوسف أنهم أحق بمحبة أبيهم جماعة على واحد هو "يوسف عليه السلام" لكونهم جماعة كبيرة ويبرز هذا الأمر في قولهم في كتاب الله عز وجل ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو

---

[٢٤] سورة يوسف، الآية ٣٧-٣٦.

[٢٥] سورة يوسف، الآية ٤.

[٢٦] سورة يوسف، الآية ٣٧.

[٢٧] سورة يوسف، الآية ٣٦.

[٢٨] سورة يوسف، الآية ٢٣.

[٢٩] سورة يوسف، الآية ٢٨.

[٣٠] سورة يوسف، الآية ٣٠.

اطرحوه أرضا... قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾.[٣١] فالعصبة تعني الجماعة وهي كلمة لغوية شائعة في ثقافة العرب البدو، والتي تكشف عن تفكيرهم وأوضاعهم الاجتماعية المرتبطة بالبادية الذين يعيشون في جماعة قبلية.

وما يثبت ذلك هو ورود كذلك في السياق اللغوي للآية الكريمة لفظة "الجب" وهي بئر أو حفرة منخفضة تكون في الأراضي الصحراوية تجتمع فيها مياه الأمطار. ما يدل على تنقلهم في الصحراء وسبب هذا التنقل هو التجارة التي تشير إلى أن الوضع الاجتماعي عندهم مرتبط بالطبقة المتوسطة.

من خلال دراستنا للمعجم اللغوي السائد في مجتمع "يوسف عليه السلام" يتضح لنا أن الوضع الاجتماعي عندهم يتصف بكون بيئتهم بدوية تنتشر فيها قيم لا اجتماعية كالخيانة (خيانة إخوة يوسف لثقة أبيهم)، والظلم (ظلم امرأة العزيز ليوسف)، والضلال (ضلال العزيز عن الحقيقة) الكذب (كذب النسوة على "يوسف عليه السلام").

- **المرآة والانعكاس:**

يعتبر القول النصي مرآة عاكسة للوضع الاجتماعي، إذا لا يكتفي بنقل الواقع بشكل مجرد، بل يعبر عن رؤيته انطلاقا من الواقع والتصوير الجمالي، ونجد مفهوم الانعكاس حاضرا بشدة في سورة يوسف من خلال سرد الله تعالى لقصة يوسف ووصفه لأحداثها، التي تعكس لنا ثقافة المجتمع المصري آنذاك وطبقاته وحياتها وتصويرها بشكل جعلنا نتخيلها ونرى طبيعة الحياة فيها من خلال نموذجين يعكسان طبيعة المجتمعات في عصر يوسف عليه:

أ- النموذج الأول: بيت يعقوب عليه السلام

جسد لنا القرآن الكريم العلاقة الفريدة التي تربط يعقوب بأبنائه، فهو نبي من أنبياء الله، ووالد "يوسف عليه السلام""، كان له اثنا عشر ولدا[٣٢]، وكان "يوسف عليه السلام" وأخوه أقربهم مودة وألفة كما جاء في القرآن الكريم على لسان إخوته، لقوله تعالى:

- ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت...﴾.[٣٣]

---

[٣١] سورة يوسف، الآية ١٠-٨.

[٣٢] جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعة، *أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: ذرية إبراهيم عليه السلام والمسجد الأقصى* (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص. ٦٦.

[٣٣] سورة يوسف، الآية ٤.

- ﴿قال يا بني ...﴾.[٣٤]
- ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك...﴾.[٣٥]
- ﴿واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾.[٣٦]
- ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾.[٣٧]
- ﴿ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا﴾.[٣٨]

يعكس النص القرآني علاقة المودة والقرب التي تجمع بين يوسف وأبيه عليهما السلام، فابتداء الآية بـ (إذا) يوحي أن قص يوسف الرؤيا جاء أثناء حوار جار مع أبيه، كما أن خطابه بـ (يا أبت) يظهر مدى اللطافة والود بينهما، كما يعكس جواب الأب يعقوب (يا بني). الأمر الذي يوضح جانبا من المنهج التربوي القائم على الحوار اللطيف الهادئ بين الأب وابنه.

وفي سياق علاقة يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام، نجد امتثال الابن لتوجيهات الأب بعدم إخبار إخوته بالرؤيا، وصبره على فراق أبيه في سن مبكرة ويذكره بكل فخر وتقدير واعتزاز وهو في السجن، ليبين أنه سائر على طريقه وحامل للوائه ﴿واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾.[٣٩] ما يعكس طاعته لوالده ورفعه للمقام الذي يليق به.

كما يعكس كذلك توجيه يعقوب لـ "يوسف عليه السلام" بعدم قص الرؤى على إخوته، مخافة إثارة الفتنة وكيد الإخوة التي ينسبها بلطف وحكمة للشيطان بقوله ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾[٤٠] ولم يربطها بفعل أبنائه.

ومنه؛ فالتوجيه التربوي الأبوي والنبوي عمل على الحفاظ على تماسك الأسرة دون أن يؤجج أسباب الحقد والغيرة والحسد. كما ساهم في بناء علاقة متينة وقوية استطاع "يعقوب عليه السلام" بصبره وحكمته وعلمه بتأييد من الله الاستمرار في الحفاظ عليه؛ من خلال تجاوزه عن أخطاء أبنائه المتتالية ومساعدتهم في التغلب على نزوات أنفسهم وأخطائهم، وقد نجح في

---

[٣٤] سورة يوسف، الآية ٥.

[٣٥] سورة يوسف، الآية ٥.

[٣٦] سورة يوسف، الآية ٣٨.

[٣٧] سورة يوسف، الآية ٩٨-٩٧.

[٣٨] سورة يوسف، الآية ١٠٠.

[٣٩] سورة يوسف، الآية ٣٨.

[٤٠] سورة يوسف، الآية ٥.

آخر القصة بجمع شتات العائلة وتوبة الإخوة بعد استغفار "يعقوب عليه السلام" لهم ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾.[٤١]

كل هذه الأحداث المتتالية تعكس معالم النموذج الأسري الذي كان في عهد النبي يوسف عليه السلام، ومظاهر العلاقات الأسرية المتماسكة والقوية التي قد تكون في معظم البيوت خارج مدينة مصر (كنعان...).

ب- النموذج الثاني: بيت العزيز

تصور لنا سورة يوسف بيت العزيز في مصر بطريقة مغايرة تماما عن بيت "يعقوب عليه السلام" المليء بالأبناء، ذلك أن بيت العزيز لم يكن فيه أبناء، بالرغم من أنه العزيز ذو قوة وشأن وجاه وسلطان يخدمه العبيد والخدم ويلبي طلباته في المجتمع المصري آنذاك، إلا أنه يعيش في عائلة مكونة من الزوج والزوجة دون الأبناء، الأمر الذي جعله يشتري "يوسف عليه السلام" من سوق العبيد ويأمر زوجته أن تكرمه وتجود عليه لقوله جل جلاله: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾.[٤٢]

ويكبر يوسف عليه السلام في بيت العزيز ويبلغ أشده ويشتد عوده، لتزيل امرأة العزيز غطاء وجهها المحتشم وتكشف عن نواياها الخبيثة التي تحكمها الشهوة والنزوات، لتظهر صورة تلك المرأة المستبدة القوية في مواقفها، الضعيفة أمام نفسها وغريزتها، المستعلية والمتكبرة على طبقة الخدم والعمال، فتعطي لنفسها الحق في مراودة "يوسف عليه السلام" ومحاولة إجباره على الرذيلة ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾.[٤٣]

بل تعترف أمام نسوة المدينة من الطبقة النبيلة بذلك، يقول تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها على نفسه قد شغفها حبّا إنّا لنراها في ضلال مبين﴾.[٤٤]

إلا أن هذا الاعتراض كان ماكرا وكاذبا ومذموما كونه ليس نابعا من الاعتراض الفطري السليم حيث يبرز ذلك في قول امرأة العزيز ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾.[٤٥]

---

[٤١] سورة يوسف، الآية ٩١.

[٤٢] سورة يوسف، الآية ٢١.

[٤٣] سورة يوسف، الآية ٣٢.

[٤٤] سورة يوسف، الآية ٣٠.

[٤٥] سورة يوسف، الآية ٣١.

هذه التصرفات الخاطئة تعكس انحلال المجتمع المصري أخلاقيا، واجتماعيا، وإنسانيا، وأسريا، الذي يكشف عنه أفعال امرأة العزيز اللاأخلاقية والإقدام عليها والمضي فيها تقدما لإرضاء نزواتها وشهواتها.

كما تعكس تصرفاتها عدم اهتمامها بصورة زوجها، وفرض سلطته عليها وعلى تظلمها، وعدم إيقاف تمردها. وتجاوزها للأنظمة الإدارية المختصة بأمور القضاء إما لفساده أو لغياب قيم العدل والمساواة في هذا المجتمع؛ والذي يظهر في ظلمها لـ "يوسف عليه السلام" وإلقاءه في السجن رغم معرفتها ومعرفة النسوة ومعرفها زوجها بظلمها له، يقول الله تعالى: ﴿وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾.[٤٦]

فبعد الاتهام تصدر الحكم دون الحاجة لسماع موقف الزوج (العزيز) ورده، وما كان من العزيز إلا أن احتكم لشاهد من أهلها، لتظهر الحقيقة ويظهر معه ضعف العزيز أمام امرأته، والخضوع لحكمها بسجن "يوسف عليه السلام" في السجن رغم اقتناعه ببراءته، وفي المقابل يقتصر الزوج على إسداء النصح للزوجة بالاستغفار. ما يؤكد غياب صوت الزوج وضعف صورته وصغر سلطته أمام زوجته.

هذا الأمر يعكس مكانة المرأة القوية في المجتمع المصري الهكسوسي، حيث تمتلك الزوجة السلطة على الزوج وتمردها على القوانين، لتصول وتجول أمام عزيز مصر الذي من المفترض أن يكون رجلا قويا، لا صوت يعلو فوق صوته، ولا قوة فوق قوته، ولا سلطة فوق سلطته، ولا حكما فوق حكمه كونه يسير البلاد ويدير أمورها السياسية.

- **البطل الملحمي والروائي:**

إن الاختلاف الحاصل بين بطل الملحمة وبطل الرواية؛ هو أن البطل الملحمي لا يشعر بالغربة والعزلة والضياع عن مجتمعه، بل هو ينتمي إليه مدافع عنه وعن أفكاره وقيمه.

أما البطل الروائي فهو الشخصية التي لها قيم سامية عليا، مؤمن بها ومدافع عنها ويسعى إلى تحقيقها، قيم وأفكار وقناعات غير موجودة في مجتمعه يسعى إلى غرسها، ولتحقيق هذه القيم يعيش صراعا مع العالم الخارجي مع مجتمعه الذي يرفضها ولا يحاول تقبلها، مكتفيا بعاداته السائدة وأعرافه المعهودة حتى وإن كانت خاطئة والبطل هنا في القصة هو "يوسف

[٤٦] سورة يوسف، الآية ٢٥.

عليه السلام"، الذي يحاول أن يغير السلوكيات المنتشرة في مجتمعه، نابذا أفكاره الخاطئة وغير الصائبة في رأيه، والتي لا تتوافق مع تربيته وقناعاته.

وتسود هذه السلوكيات والأفكار الخاطئة في عدة مجالات ترتبط بالمجتمع المصري الهكسوسي والتي تتمثل فيما يلي:

أ- المجال الديني:

تنتشر في المجتمع المصري الهكسوسي ظاهرة عبادة الآلهة المتفرقة، حيث كانت هناك حرية المعتقد والعبادة في ظل الشرك ومظاهره، حيث يبرز ذلك في قول "يوسف عليه السلام" ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباءكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾.[٤٧]

فقول "يوسف عليه السلام" دليل على نبذه هذه الظاهرة، وتأكيده على توحيد الله الأحد دون غيره، وأن تلك الآلهة من صنع الإنسان لن تضرهم ولن تنفعه في شيء. وشدته على هذا الأمر في أكثر من مرة تأكيد على محاولته في تغيير هذه الظاهرة، حيث يقول ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾.[٤٨]

ب- المجال الإداري:

اتسم النظام الإداري الهكسوسي في المجتمع المصري بالارتجال وغياب التدبير وحسن التسيير للبلاد، الأمر الذي جعلها تتضرر اقتصاديا حيث انتشرت المجاعة والفقر بين أفراد الطبقة العامة، وهو الأمر الذي لم يتقبله بطل القصة، حيث طلب من ملك مصر توظيفه لحل هذه المسألة، يقول في كتابه الكريم: ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾.[٤٩]

هذا الأخير الذي كان متأكدا بقدرة يوسف على حل هذه الأزمة؛ كونه نشأ في بيت السلطة والاجتماعات الإدارية واتخاذ القرارات التسييرية يقول الله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾.[٥٠]

---

[٤٧] سورة يوسف، الآية ٤٠-٣٩.

[٤٨] سورة يوسف، الآية ٣٨.

[٤٩] سورة يوسف، الآية ٥٥.

[٥٠] سورة يوسف، الآية ٢٢.

KALIMÂTUNÂ, P-ISSN: 2829-0852, E-ISSN: 2829-0097

كما أن تمكين "يوسف عليه السلام" من تفسير الأحلام وتأويل الرؤى من الله عامل جوهري في استقراء المستقبل، وكما هو معلوم في النظريات الاقتصادية وتحضير الرؤى الاستراتيجية ترتكز على التنبؤات المستقبلية والخطط الاستعجالية. لقوله جلا وعلا ﴿وقال الملك إنّي أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾.[٥١]

فتأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الملك طمئنه وجعله يوليه شؤون القصر وساعدته في إثبات قدرته الإدارية والتدبيرية العالية في تعامله مع أزمة المجاعة، فهو البطل الذي أنقد مجتمعه من الفقر المدقع، من خلال رؤيته الاستشرافية مكّنته من استباق سنوات الجذب والاستعداد لمواجهة الجفاف وانحصار القطر وانعدام الزرع.

لقد عمل "يوسف عليه السلام" على نهج مبدأ التدبير المركزي منذ توليته. فأشرف على تجميع وتخزين الحبوب بطريقة علمية تحفظه لسنين، ليترأس بعد سبع سنين مهمة الإشراف على التوزيع حسب ما تقتديه الحاجة، فلم يقتصر على بلاد مصر بل استقطب كل البلدان المجاورة لمصر، وتمكن بذلك من إنقاذ مصر وتوطين أهله في بلاد مصر بعدما كانوا يعيشون في البدو (كنعان/ فلسطين) لقوله تعالى: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾.[٥٢]

ج- المجال القانوني:

سادت في المجتمع المصري سلوكيات غير تربوية، منها: الاتهام، والباطل، والظلم؛ وهي من الظواهر المنبوذة عند بطل القصة "يوسف عليه السلام"، لما لها من تداعيات اجتماعية خطيرة على المجتمع.

فقد وجد "يوسف عليه السلام" نفسه في مجتمع منفك أخلاقيا، تنعدم فيه المواثيق القانونية والعدلية والتي تتبدى فيه سجن خادما الملك الذين يعدان من أقرب الناس إلى الملك وهما خبازه وساقيه بسبب اتهامهما بتسميم الملك دون تحقيق ولا استبيان لبضع سنين.

ما يشير إلى مدى مظاهر الفساد القانوي والظلم القضائي في الحكم على المتهم بالسجن دون التأكد من فعلته. وحتى أحيانا يسجن ظلما وعدوانا وهو بريء مما نسب إليه. ولعل قصة

---

[٥١] سورة يوسف، الآية ٤٣.

[٥٢] سورة يوسف، الآية ١٠٠.

يوسف عليه السلام أكبر دليل على هذا الظلم، رغم ظهور الحقائق الفاضحة والصريحة على براءته، لقوله تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (٢٦) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (٢٧) فلمّا رأى قميصه قُدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (٢٨) يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين (٢٩)﴾.[٥٣] ويقول أيضا تأكيدا على ظلمه وسجنه ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجنُنّه حتى حين﴾.[٥٤]

كما تؤكد حادثة سجن الخباز والساقي مظاهر الخيانة التي طالت الملك نفسه، فمعلوم أن الهكسوس غزوا مصر واستولوا على الحكم بالقوة. فمن الطبيعي أن يتصفوا بهذه السلوكيات المشينة المرتبطة بالخيانة والاستيلاء، والتي تصل إلى داخل القصر الملكي نفسه، وما تشوبه من مؤامرات وخيانات ومكائد ووشايات وظلم لم يتقبله بطل القصة "يوسف عليه السلام" كونه نشأ في هذا المجتمع الخائن الرافض له، والذي يتجلى من خلال رفضه للخروج من السجن حتى تتبين براءته على يد الملك نفسه رغم أن الملك أبدى إعجابه به قبل رؤيته وقبل الاستماع إليه، قال تعالى ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلّما كلّمه قل إنك اليوم لدينا مكين ﴾[٥٥]؛ ليعرف صفاءه ونقاء طبعه وهي القيم السامية التي يحاول غرسها في المجتمع المصري في دعوته التوحيدية لله تعالى.

د- الخلاصة

ختاما؛ إن المنهج الاجتماعي يدرس الظواهر الإبداعية النصية في ضوء المجتمع بالتركيز على مختلف الصلات التي تجمع بين الأدب والمجتمع، ويعني هذا بيئة البطل هي التي تولد القصة وتنتجها. من هنا لقد عكس النص القرآني من خلال قصة "سورة يوسف" مختلف التناقضات السياسية والاجتماعية والتاريخية التي يعيشها المجتمع المصري آنذاك.

- **نتائج البحث**
- اهتمام المنهج الاجتماعي بدراسة الظروف الاجتماعية والتاريخية لشخصيات قصة "يوسف عليه السلام".

[٥٣] سورة يوسف، الآية ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩.

[٥٤] سورة يوسف، الآية ٣٥.

[٥٥] سورة يوسف، الآية ٥٤.

- ساعد تطبيق المنهج الاجتماعي في إبراز خصوصيات المجتمع المصري الهكسوسي، والسلوكيات والقيم الاجتماعية السائدة فيه، وإعطاء تفسيرات تحليلية منطقية لسلوكيات الشخصيات في قصة "يوسف عليه السلام".
- التركيز على الجانب اللغوي للكلمة أعطى دلالات اجتماعية بينت معنى الكلام وتوجهاته، كونها تحمل قيم اجتماعية متنوعة ترتبط بما هو ديني، ثقافي، أخلاقي، إنساني...
- ساهم تنوع مستويات اللغة من: أصوات وحروف، ومفردات وتراكيب الجمل، وسياق ورودها، وأساليب إبرازها في بيان الظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع المصري والكنعاني.
- إبراز الدور الاجتماعي لبطل القصة "يوسف عليه السلام" باعتباره نبي الله تعالى، والحافظ لنفسه عن معصية الله، ودعوته إلى توحيد الله تعالى، وجزاءه بالمقام العالي فهو الوالي على خزائن مصر.
- **توصيات البحث**
- لا يمكن إهمال دور المناهج السياقية (المنهج الاجتماعي) في بيان الحمولات الدلالية للنص القرآني، إلا أنه يجب التعامل بحذر شديد مع خصوصيات النص الديني لرفعته وسموه وقدسيته عن باقي النصوص الإبداعية.
- الحث عن تقديم دراسات ارتباطية بالتراث الإسلامي لما يزخر به الفكر الإسلامي من قيم عليا، صرنا نفتقدها في مجتمعنا المعاصر وهي تسامح الإخوة، والعفو عند المقدرة، وتعظيم مكانة الأب.
- التشجيع على عمل دراسات تحليلية تطبيقية للمنهج الاجتماعي في دراسة نصوص دينية أخرى، وتطويعها بما يتناسب والفكر الإسلامي وخصوصية النص الديني حتى لا تصطدم بمسلماته فيصعب تحليله.
- جعل القارئ أوسع معرفة بعلم اجتماع النص الأدبي، بحيث تكون المعرفة التي يقرأها مفيدة له والتي يمكن تطبيقها في الحياة الاجتماعية.

مراجع البحث

إسكاربيت، روبير. *سوسيولوجيا الأدب*. ترجمة وتمهيد آمال أنطوان عرموني. بيروت: منشورات عويدات، ١٩٧٨.

بختي، عبد القادر، وعادل اسعيدي. "مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية." *مجلة آفاق علمية*، المجلد ١١، العدد ٤ (٢٠١٩)، ص ٤٩٩-٥١٥.

جريدة الجزيرة. "نافذة الأدب والمجتمع." الثلاثاء ١٧ رجب ١٤٢٠، العدد ٩٨٨٩. https://www.rougemagz.com/1999/19991026/cu.htm

حافظ، صبري. "الاتجاه الاجتماعي: الأدب والمجتمع." *مجلة فصول*، المجلد الأول، العدد ٢ (١٩٨١): ٥٣٥. https://archive.alsharekh.org/Articles/133/10287/208225

حامدي، صدام. *أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي: كتاب أخطاء المنهج الغربي الوافد نموذجا*. رسالة ماجستير، إشراف حسين دحو، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٦، ص ١٣- ١٤.

فياض، حسام الدين. "رؤية هربرت ماركيوز لمفهوم السلب عند هيجل." *الرافد: مجلة إلكترونية ثقافية شاملة*. نشر في ١٢ يناير ٢٠٢٢. تم الاطلاع عليه يوم ١ يونيو ٢٠٢٤. https://arrafid.ae/Article-Preview?I=fIThwK9OAd8%3D&m=5U3QQE93T%2F0%3D.

مسعود، جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت جمعة. *أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: ذرية إبراهيم عليه السلام والمسجد الأقصى*. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

مصطفى، محمد صلاح الدين وآخرون، *خطوات البحث العلمي ومناهجه*، القاهرة: المشروع العربي لصحة الأسرة، جامعة الدول العربية، ٢٠١٠. تم الاطلاع عليه يوم ١ يونيو ٢٠٢٤. https://www.uoanbar.edu.iq/eStoreImages/Bank/4334.pdf

مفتاح، ربيع. *زمن السرد العربي: قراءات في القصة والرواية*. الجيزة: وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٥.

موافي، عثمان. *مناهج النقد المعاصر*. الازاريطة: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ط ١.

Goldmann, Lucien. *Le Dieu caché: Etude sur la vision tragique dans les "Pensées" de Pascal et dans le théâtre de Racine*. Paris: Gallimard, 1955.